الذكرى الذهبية

لاول قداس

في كنيسة بيروت السريانية

١٨٨٣ - ١٩٣٣

محاضرة المتورفسقوس ميخائيل اليان سركيس السرياني

٢ (تتمة)

٧ الاب البطريركيون في بيروت بعد بناء الكنيسة

اولهم : المتوري افرام ايض الحلبي (١٨٧٨-١٨٨٦)

ابصر النور في حلب عام ١٨٤٩ وأقبل الى دير الشرفة عام ١٨٦٢ . وفي السنة التالية قصد اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير . واعتكف على اقتباس الفضائل والعلوم الكهنوتية اربع عشرة سنة فاحرز منها نصيباً وافراً . وفي غرة السنة ١٨٧٧ رقّاه السيد اغناطيوس جرجس شلحت الى الدرجة المقدسة وفوّض اليه خدمة النفوس في بيروت وكنت الخدم قدّامه في كنيسة الآباء الكبوشيين حتى ١١ تشرين الثاني ١٨٨٣ وفي عهده بوشر بناء الكنيسة عام ١٨٧٨ فكان يراقب العملة مدة خمس سنوات بنشاط لا يعرف الكلال . وهو الذي نضحها بالماء المبارك واحتفل فيها بالقداس الاول كما ذكرت .

وقد تولى هذا الاب الورع رئاسة دير الشرفة في فترات مختلفة وفي السنة ١٨٨٦ نصبه صاحب الغبطة نائباً عنه في القاهرة ، فخدم النفوس فيها بالغيرة والحكمة والامانة حتى توفاه الله عام ١٩١٣ . وتفرّد هذا الاب الجليل بمواعظه الكثيرة التي القاها في دير الشرفة وكنيسة بيروت والقاهرة ، وهي تنيف على المائة موعظة حذا فيها حذواً جديداً وافرغها في قالب يلذّ المطالع والسامع . ومن جملتها موعظته التي القاها يوم افتتاح الكنيسة وقد أشرنا اليها

على ان معرفة الجميل تضطرّني ان أبدي في هذا الفصل عواطف الثنا.

لآباء الرهبنة اليسوعية الافاضل فان رؤساءهم الاجلاء اجابوا الى طلب حقارتي فعيّنوا كاهناً من كهنتهم يحضر صباح كل احدٍ وعيدٍ الى كنيستنا هذه الجديدة ويقرّب فيها الذبيحة الالهية.

وظلّ اولئك الاباء الافاضل يواصلون تلك الخدمة المقدّسة مدة تسع وعشرين سنة كاملة اعني منذ السنة ١٨٨٣ حتى ١٤ ايلول من السنة ١٩١٢ التي فيها اصدر الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر براءته المشهورة في منح الاجازة لجميع المؤمنين كي يتناولوا القربان الاقدس في اية كنيسة كاثوليكية أحبوا. وكان الوسيط بيني وبين رؤساء الرهبنة اليسوعية في منال تلك المنحة المجّانية حضرة صديقي الجليل الاب انطون صالحاني اليسوعي الذي ما برحت تربطني به عهود الولاء الاخويّ منذ ستين سنة. كافأهم الله تعالى باوفر الاجور في النعيم السرمديّ.

وما عدا الاب اليسوعيّ فقد كان يقيم القدّاس الالهي في كنيستنا البيروتية عينها المرحوم الاب يوسف فليفل الماروني فخدمها خمساً وعشرين سنة حتى لقي ربه في ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٤.

وكان يقام في كنيستنا البيروتية عينها منذ افتتاحها الى هذه السنين الاخيرة قداس حسب الطقس الكلداني. واوّل كاهن كلداني كان القس لويس اخرس. وخلفه الخوري يوسف طويل الذي جعل مركزه في الدار الاسقفية نيفاً وعشرين سنة اعني حتى السنة ١٩٠١. وجاء بعده الاب عمنوئيل قشاً. وكنتُ انا الحقير اقوم بخدمة قداس هؤلاء الآباء الثلاثة كلٍ واحدٍ حسب طقسه اعني الطقس اللاتيني والماروني والكلدانيّ.

ثانيهم: الخوري موسى سركيس الدمشقي

هو عمنا الذي تولى خدمة النفوس في كنيسة بيروت في عهد الخوري افرام ابيض وخلفائه. وُلد في دمشق عام ١١٤٨ وشخص الى بيروت عام ١٨٦٠ مع شقيقه والدنا الياس سركيس ووالدتنا مريم يوسف قرواني. ذلك على أثر حوادث الشام المشؤومة. وفي السنة ١٨٦٣ قصد اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير وعكف على استحصال العلوم الكهنوتية اثنتي عشرة سنة. وفي ٢٨

تشرين الثاني ١٨٧٥ رقّاه السيد غريغوريوس يعقوب حليـاني ، رئيس اساقفـة دمشق ، الى المقام الكهنوتيّ . وولّاه خدمة الرعية فيها حتى السنـة ١٨٨١ . فاقبل الى بيروت وانقطع الى خدمة ابناء الطائفة حتى ١٥ نيسان ١٨٨٣ فنصبه السيد اغناطيوس جرجس شلحت رئيساً على دير الشرفة . وحضر عـام ١٨٨٨ المجمع الطائفي الذي عقده البطريرك الانطاكي واقيف اخبار الملة في ذلك الدير منذ ٢٢ تموز حتى ١٣ تشرين الاول . ويشاهـد رسمه مع السيـد البطريرك والاحبار المشار اليهم في ذلـك المجمع الشهير . وفي ٢٧ كانون الاول ١٨٩٣ انصرف الى القدس الشريف حيث تولى النيابة البطريركيّة حتى ايلول ١٩٠٣ ، فعيّنه السيد اغناطيوس افرام رحماني رئيساً لدير الشرفة . وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٢ رقّاه في كنيسة بيروت الى الكرامة الاسقفيّة على حمص وحماة وتوابعها . وانتقل الى جوار ربّه في ١٩ آب ١٩١٨ ودُفن في ضريح الآباء بدير الشرفة .

ومما لا يسعني السكوت عليه انه رحمه الله تعالى كابد مزيد العناء والتعب بمدة ثلاثة اعوام في سبيل بناء المركز الطائفي في القدس (١٩٠٠—١٩٠٣) وما عدا ما تبرّع به على ذلك المعهد المبارك من المال الذي بلغ زهـاء مائتي ليرة ذهبية ، فقد كان يناظر العملة اثناء اخرّ اللافح والبرد القارس حتى انجزه . وهو الذي ابتنى في دير الشرفة بهو الاستقبال وبيت المنام . سكب الله على ضريحه سيول الغفران وعامله بالرحمة والرضوان .

ثالثهم : الخوري روفائيل بردعاني الماردينيّ (١٧٨٧—١٨٩٣)

نُصب هذا الاب الفاضل نائباً بطريركيّاً في بيروت عـام ١٨٨٧ وخدم الرعية مدة خمس سنوات بما امتاز به من الخصافة والغيرة والامانة . وكان يعاونه تارة عمنا الخوري موسى ، وطوراً الخوري يوحنا حمصي ، وآونـةً القس بطرس حدّاد الانخليّ .

وكان مولد الخوري روفائيل في ماردين عام ١٨٥١ . ويتم دير الشرفة عام ١٨٦٦ وفي ايلول ١٨٦٧ ارتحل الى رومية وقرأ العلوم الكهنوتية في مدرسة البروبغندا ثم انطلق الى ماردين . وارتقى الى الدرجة المقدسة عام ١٨٧٦ بوضع يد السيد ايرنيس ايليا عتمة مطران القلاية البطريركيـة . وفي السنـة ١٨٨٧

استدعاه الى حلب غبطة السيد اغناطيوس جرجس شلحت ورقّاه الى رتبة خورفسقفوس وسمّاه نائباً عنه على ابرشية بيروت . وكان من عداد الآباء الذين تولوا فحص الفناقيث [illegible] اعني الكتب الفرضية في دار القصادة الرسولية ببيروت وهيّأوها للطبع في مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل .

وفي السنة ١٨٩٣ عاد الخوري روفائيل الى ماردين ، وتوجه الى سعرد لخدمة النفوس ، ونالهُ ما نالهُ من الفوائل والاهوال اثناء ثورة الاتراك على النصارى عام ١٨٩٥ ، فاضطرّ الاب روفائيل ان ينهزم الى ماردين ، وظلّ يخدم النفوس فيها وفي ضواحيها حتى السنة ١٩١٥ . فاستاقه الاتراك في عاشر حزيران من السنة المذكورة مع السيد اغناطيوس مالويان ، مطران الارمن الكاثوليك ، ومع عدد غفير من الكهنة واعيان الملل الى ضواحي ديار بكر وانزلوا بهم ضروب الاعذبة الفادحة وفتكوا بهم كافة فتكاً ذريعاً وكان عددهم اربعمائة وسبعة عشر[1]

وكان هذا الاب الشهيد خبيراً بلغات شتى ، متضلّعاً من الفلسفة واللاهوت مشهوراً بفنّ الخطابة . وقد نقل عن الايطالية الى العربية كتاب « منّ النفس » تأليف الاب بولس سنيدي اليسوعي في ١٣٤٠ صفحة كبيرة وهيّأه للطبع . وكان يتأمل به كل يوم مدّة اربعين سنة كما أثبت في مقدّمته . وترجم كذلك الى العربية شرح الكتاب المقدّس من سفر التكوين الى نبوءة صفنيا في ٢٣٤٠ صفحة كبيرة بعبارة فصيحة . الا انه لم يتوفق في طبع الكتابين المذكورين المحفوظين في يومنا لدى حضرة الخوري اسحق ارملة الموقر .

راجعهم : السيد المفران توفيق اطون قندلفت (١٨٩١–١٨٩٨)

حضر هذا الحبر النبيل الاحتفال بتدشين كنيسة بيروت عام ١٨٨٤ كما ذكرنا وكان يومئذ كاتباً لاسرار غبطة السيد اغناطيوس جرجس شلحت البطريرك الانطاكي . وفي ٢٠ حزيران ١٨٨٦ رقّاه البطريرك الموماً اليه في كنيسة بيروت الى الكرامة الاسقفية على طرابلس ولبث موازراً غبطة السيد

---

١) اطلب كتاب « النصارى في تكبات النصارى » لمؤلفه الخوري اسحق ارملة (ص ١٨٤–١٩٨)

البطريرك في حلب حتى السنة ١٨٩١ فعينه نائباً عنه في بيروت . ومن جملة الآباء الذين تولّوا خدمة الرعية البيروتية في عهده نذكر الاب ميخائيل بخاش[٢] ، والاب يوحنا حمصي ، والاب بولس بخّاش ، والاب افرام مصري.

وقد احرزت كنيسة بيروت ، في عهد السيد انطون قندلفت الطيب الذكر، مجداً مؤثلاً اذ كان يقيم فيها الاحتفالات الطقسية ويلقي العظات الدينية على المؤمنين الذين كانوا يتقاطرون الى الكنيسة لاستماع عباراته البليغة والاستفادة من براهينه المبتكرة الرديدة . والتلذذ بكلام الله الحي . ويعودون الى بيوتهم وصدورهم ملأى بعواطف الايمان المقدّس . امّا ناديه فكان يغصّ بالاعيان والعلماء الذين كان يخلب اذهانهم بحديثه . وامتاز رحمه الله بالتضلّع من المسائل الدينيّة والشرعية . فكان يحلّ المشاكل بفطنته وحكمته وصنّف كتباً شتى أخصها كتاب مواعظه الذي سمّاه « عقود الجمان في شرح قانون الايمان » ونشره عام ١٨٨٣ في ثلاثة مجلّدات . وكتابه الثاني الذي سمّاه « القلادة الدرّية في شرح الوصايا العشر الالهية » الذي نشره شقيقه السيد يوليوس باسيل قندلفت عام ١٩٠٠ . و « السراج الوهّاج وهو منهاج لصيغة سنّة الزواج » ، و « الرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزواجيّة عند الشرقيين » ، و« القيثارة الشجيّة في القنابيح الالهية » الى غير ذلك من الكتب المفيدة.

وفي عهد نيابة السيد انطون قندلفت تبرّع الكنت شرلّ كابل البابجكيّ الفاضل على كنيستنا البيروتية في ٢٨ شباط ١٨٩٢ بستة شمعدانات كبيرة جميلة. وشيّد ابناء الطائفة الافاضل الدار الاسقفية. واكملوا بناء المدرسة التي ازدهرت ازدهاراً يُذكر بهمّة القس الياس مصري الدمشقيّ الذي علم فيها ستة اعوام.

خامسهم : انتوني سليمان تبّوني الموصلي (١٨٩٨-١٩٠٢)

زهد هذا الاب الفاضل في الحطام الدنيا ، وأقبل في شرخ شبابه الى دير الشرفة في ٥ كانون الاول١٨٦٨ ، وقضى ثلاث سنوات معتكفاً على استكمال الفضائل المسيحية والتزيد من العلوم الكهنوتية . وارتقى الى الدرجة المقدّسة في ٨ ايلول ١٨٧١ . وانطلق بامر السيد البطريرك مار اغناطيوس فيلبّس

٢) هو السيد اقليمس ميخائيل بخّاش الذي ارتقى الى مطرانية دمشق في ٣ حزيران ١٩٠٠

عركوس الى ديار بكر وماردين ، وخدم فيهما ابناء الملة زماناً ، ثم توجه الى طور عبدين فأبدى هناك من المساعي الطيبة ما برهن عن شجاعة نفسه وقوة عزيمته اذ كان يقتحم كل خطر في سبيل تعزيز الايمان الكاثوليكي المقدس . ثم سيّره السيد البطريرك الى دير الزور فانشأ فيها كنيسة على اسم العذراء مريم عام ١٨٧٣ وحبس لها الاوقاف وخلّف فيها ذكرًا طيباً ما برح الاهالي يتفنون به حتى اليوم. ثم انتقل الى النبك وساس الابرشية بثابة نائب بطريركي حتى السنة ١٨٩٧ فرقّاه السيد اغناطيوس بهنام يني الى رتبة خورفسقوفية ونصبه وكيلاً عنه في بيروت ، فخدم الرعية خمس سنوات بجدّ واجتهاد . وبعد هذا عاد الى الموصل وطنه ، وثابر على اعمال التقوى حتى فارق الحياة في ٥ حزيران ١٩٢٤ بشيخوخة صالحة. واشتهر خصوصاً بانقياده الى اوامر رؤسائه وخبرته بالامور الدنيوية. وله في ذلك مواقف مشهورة يردّدها كل من عرفه الى هذا اليوم.

سادسهم : الخوري يوسف اسطنبولي الماردلي (١٩٠٢–١٩٢٠)

قام بامر النيابة بعد الخوري سليمان تبوني فخدم الرعية ثماني عشرة سنة كان في اثنائها امثولةً شريفة في الفضيلة والفضل ولاسيما في التضحية حبًّا لتعزيز الابرشية . وامتاز برخامة الصوت فقام بخدمة السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني في جميع الاحتفالات الطقسيّة التي كانت تجري في كنيسة مار جرجس . وساعده في خدمة النفوس الاب افرام مصري الدمشقي اثنتي عشرة سنة ، والاب روفائيل جبري الموصلي (١٩٠١–١٩٠٣) الذي عُيّن في السنة ١٩٠٣ نائباً بطريركيًّا في القدس الشريف ثم في الاسكندرية . ومن جملة الآباء الذين خدموا ابرشية بيروت في عهد الخوري يوسف اسطنبولي اذكر الاب عبد المسيح زهر والاب جبرائيل بخاش الحلبي (١٩١٦–١٩١٩) الذي انشأ اخوية الوردية للنساء في ٣٠ نيسان ١٩١٧ واستحصل من فضل الكرسي الرسولي المقدس الانعامات الشتى للمشتركات فيها . وقد اجاب الاب الاقدس الى طلبته فمنح الغفران لكل من يقرّب الذبيحة الالهية على مذبح سيدتنا مريم العذراء الجليلة في كنيسة بيروت.

ومن جملة الآباء الذين خدموا الرعية في تلك الاثناء الاب يوسف مجودة

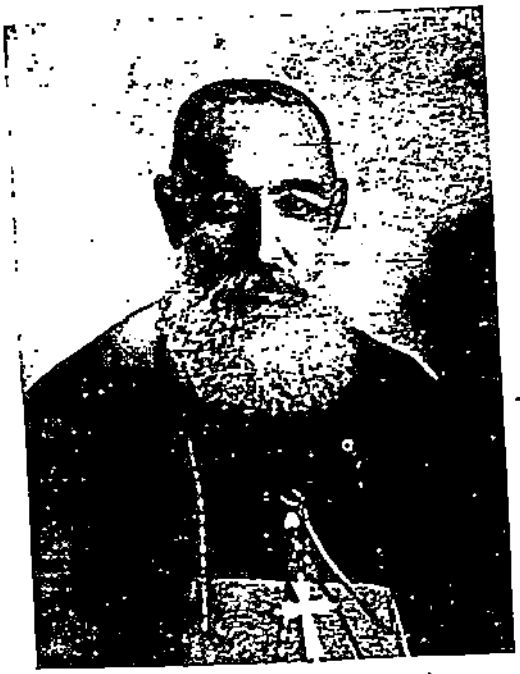

المثوري يوسف اسطنبولي الماردیني

المثوري سليمان تيّوني الموصلي

المثوري اقرام حيقاري

البغـدادي (١٩١٦–١٩١٩) ، والاب يوحنـا عزو الموصلي (١٩١٩–١٩٢١) وكلاهما تولياً تعليم الاحداث ايضاً في المدرسة الطائفية.

على ان رؤساء الملّة المنبوطين قـدروا للخوري يوسف اسطنبولي الجليـل اتعابه في سبيل الانفس فرقّاه السيد اغناطيوس يهنام بني الى رتبة خورفسقفوس في كنيسة ماردين عام ١٨٩٣ ، وجاد عليه الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر بلقب مونسنيور برتبة حاجب بابوي اجابةً الى طلب السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني . وقد أبدت له الطائفة البيروتية عربون الاخـلاص والاقرار بمزارفه فاحتفلت بيوبيله الكهنوتي الفضي عـام ١٩٠٨ ، ويوبيلـه الكهنوتي الذهبي عام ١٩٣٢ . وكان ميلاده في ماردين عـام ١٨٦٠ وزاول العلوم الكهنوتية في دير الشرفـة (١٨٧٦-١٨٧٨) وفي اكليريكيّـة الآباء اليسوعيين ببيروت (١٨٧٨–١٨٨٢) . وفي ١٣ ايار ١٨٨٣ ارتقى الى الرتبـة الكهنوتية وخدم النفوس في ماردين ومذيات بطورعبدين وفي بيروت وطرابلس

وبمساعي هذا الاب الغيور وقفت عام ١٩١٨ مريم اسحق موصلي لكنيسة مار جرجس والفقراء دارًا بلغت قيمتها الف ليرة ذهبية على ان يقرّب في هذه الكنيسة كل سنة اثنا عشر قداساً لراحة نفسها رحمها الله تعالى.

سابعهم : الخوري افرام حبقاري السمردي (١٩٢١-١٩٣٣)

تولى النيابة البطريركيّة في بيروت في نيسان ١٩٢١ فافرغ الجهود الطيّبة في خدمة ابناء الطائفـة وصرف المساعي في انشاء يانصيب خيري عام ١٩٢٨ انفق ريعه البالغ مائة وخمسين ليرة ذهبية في ترميم موفه كنيسة بيروت وتمهيد فنائها . وسعى كذلك في انارة الكنيسة بالاضواء الكهربائيـة على الطراز الحديث . ومما نذكره له بالشكر انه بذل قصيّ وسعه في مساعـدة السريان المهاجرين الذين قدموا الى بيروت من اطنه واورفا منذ السنة (١٩٢١–١٩٢٣) ، فانه اتّفق مع رئيس الجمعيّة الخيرية شقيقنـا يوسف اليـان سركيس ، ومع معاونيه الفاضلين الفيكنت فيليب دي طرّازي والخواجا نجيب موصلي وحضروا لهم ما كفاهم لسدّ حاجتهم من الطعام والكسوة ، وقبلوهم جميعاً ضيوفاً كراماً في القلاية الاسقفيّة اثناء شتاء السنة ١٩٢٢ وكان عددهم يربو على الخمسمائـة

فشطروا غرف الكهنة والردهة والمدارس مدّة اربعة اشهر وافرغ الخوري افرام ومعاونوه الوسع في اجتذاب اغلبهم الى حضن الكنيسة الكاثوليكيّة المقدّسة فاحرزوا باتعابهم المبرورة افضل ذخر واعظم أجر عند الله تعالى . وعلاوةً على ذلك كله فقد جدّ الخوري افرام مع الفيكنت فيليب والخواجا نجيب المشار اليهما في جمع طائفة من المال عام ١٩٢٤ من ابنـاء الملّة وغيرهم واشتروا ارضاً فسيحة ابتنوا فيها بيوتاً خشبيّة لايوائهم واطلقوا عليها اسم « حارة مار يعقوب »

ومن اعمال الخوري افرام التقويّة تجديده الجوّية الوردية للبنـاء ، وانشاءه عام ١٩٣٠ اخرية ثانية لهنّ تيمّناً باسم القديسة تريزيا الطفل يسوع . وقد انضمّ اليهما كلتيهما عدد صالح من السيدات الورعات يجتمعنَ صبـاح كل اثنين الى الكنيسة يحضرن الذبيحة الالهية ويتلون فرض السيدة العذراء المنبوطة ويسمعن من فمه كلام الحياة ويتقرّبن من سرّ المحبة .

وقد عرف آباء الطائفة المنبوطون للخوري افرام فضيلته وفضلـه ولاسيما غيرته على خلاص النفوس . فانه بعد مزاولته العلوم الكهنوتيّة في اكليريكية الآباء الدومنكيين بالموصل احدى عشرة سنة وارتقائه الى الدرجة المقدّسة في ايار ١٩٠٤ وهو في السنّ الثالثة والعشرين انتدبه السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني الى بيروت وجعله معاوناً لكاتب اسراره ، ثم عيّنه عـام ١٩٠٥ خادماً للنفوس في زحلة . ثم فوّض اليه النيابة البطريركيّة في النبك عام ١٩٠٨ وتفقّد شؤون القرى المجاورة لها . وفي السنة ١٩١٢ ولّاه رئاسة دير الشرفة ورقّاه عام ١٩١٣ الى رتبة خورفسقوس واستصحبه الى رومية واستحصل لـه عام ١٩١٩ من مكارم الكرسيّ الرسولي المقدّس رتبـة مونسنيور وحاجب بابويّ . وفي السنة ١٩٢١ عيّنه نائباً في كنيسة مار جرجس ببيروت كما ذكرنا . وما برح الى هذا اليوم قائماً بالنيابة بالحزم والغيرة والتفاني .

هذا ما تحرّيت اثباته في هذه «الذكرى الذهبية» متوسلاً الى يسوع المسيح فادينا الالهي ان يكافئ بالمثوبة الصالحة جميع من تعب في هذه الكنيسة ومن عليهم وعليّ بالتمتع بمشاهدته السعيدة في كنيسة الابكار المكتوبين في السماوات (عبر ١٢ : ٢٣) الذين « يعبدونه نهاراً وليلاً في هيكله » (رؤيا ٧ : ١٥) آمين .